

لبنان ومفاوضات السلام / فارس بويز — في. Revue juridique de (1992) N° 1 : USEK'ص. ٣٧-١٩ .

لبنان — تاريخ — ١٩٨٨ III. المؤتمرات والاجتماعات II. الشرق الأوسط — تاريخ I.

PER L1311 / FD56556P

## لبنان ومفاوضات السلام<sup>(١)</sup>

بقلم

المحامي فارس بوز

وزير الخارجية والمغتربين

أيها الإخوة،

يوم تسلمت وزارة الخارجية والمغتربين، راودتني تساؤلات كبيرة، بحجم المهمة الملقة على عاتقي، في هذا الفصل التاريخي من حياتنا. فبادرني أحد الأصدقاء، وزير سابق وخبير في شؤون لبنان والمنطقة قائلاً، ان أهمية وزارة خارجية لبنان تكمن في قدرتها على مواكبة الأحداث والمتغيرات دون التعرض لها، والتعامل معها بأكبر قدر من التحفظ والمداواة. وهذا النهج هو السبيل الوحيد لعدم ارتكاب الخطأ.

في مفصل حياتنا البارزة، تنمو في ذواتنا حاجة الى البوح والتشاور والمناقشة، للمحطات الاساسية التي تكون وطننا، والتي تجعل منه نموذجاً فريداً، نتفاخر بالانتماء اليه، حيث لا يزال، بالرغم من المصاعب والمعاناة التي واجهته، يشكل صيغة لم تنجح مجتمعات اخرى شبيهة، باختبار غيرها. وقد يزداد الاهتمام العالمي بتلك الصبغة، حيث تزداد خصائص المجتمعات وميزات مكوناتها.

فكم بالحري تزداد هذه الحاجة، ونحن على عتبة نظام جديد، قد يكون، بعد فرساي وبالطا، اهم منعطف تدخله منطقة الشرق الأوسط والعالم، لما له من تشعبات، ولما استنفر من طاقات، ولما يرتبط به من استحقاقات.

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في كلية الحقوق، جيل - بيلوس (لبنان)، بتاريخ ١٢/٣/١٩٩٢.

أو ليس تاريخنا شاهداً على ازِمات كبيرة ، اندثرت ، ازاء قدرة هذا الوطن على احتواء المتغيرات الاقليمية والدولية .

أو ليست حدود لبنان ومساحته ، قطعة من التاريخ ، مما دفعني للقول دائماً ان تاريخ لبنان هو أكبر من جغرافيته .

أو ليست ارضنا ، التي ناضل لاسترجاعها ، هي جزء من التاريخ ، اكثر مما هي بقعة في الجغرافيا .

اذا كانت العبرة ، في هذا الجزء من العالم ، في العطاء الثقافي والأدبي أو الفكري والفلسفي والايديولوجي ، أو الاقتصادي والعمراني ، او العلمي والجماعي والصحافي ، فلقد كنا رواد النهضة العربية ، ومنقذي لغتها ، وآباء فكرها واصحاب شعائرها وشعاراتها ، وكم بالحرى ، اليوم ، حيث الابداع السياسي مطلوب من اجل رسم خريطة هذا الشرق السياسية . لقد كنا الأوائل ، وسبقني المفضلين .

يخطيء من يزرع تحت وطأة العقد ، ويعتقد اننا نتعاطى مع المسائل الكبرى بغير هذه القناعات ، التي تنطلق من ايماننا المطلق بعراقتنا في هذا الشرق والعالم .

على قاعدة هذه الثوابت ، يتبلور دورنا ، ونقبل على التحديات التي تواجهنا ، باقتحام دورنا وقدرنا ، وثبيت مشيئتنا ، بما نمتلك من قدرات ومميزات وخصوصيات .

ان الكلام على مؤتمر السلام متشعب حتى يستحيل عرضه بحلقة واحدة او الغوص في اعماق كافة جوانبه ، لذا ، سأتحديث عنه من خلال الواقع والتقييم العلمي السياسي ، ملمحاً فقط ، لجوانبه الفلسفية والثقافية ، والاقتصادية والعرقية والدينية .

لهذا المؤتمر تشعبات اخرى ، متعددة متنوعة ، تجعلني ابحث في مفاصله الاساسية والمباشرة .

انها ، الوضع السائد في منطقة الشرق الأوسط قبل مؤتمر السلام ، ثم الظروف المباشرة له ، ثم الاعمال التحضيرية ، ثم الظروف التي واكبته ، ثم الاسس التي انطلقت منها ، ثم مراحلها بدءاً بجولات بوش وبايكر ، مروراً بمديرد وواشنطن وموسكو ، حتى العودة الى واشنطن وما سيليها . اخيراً سأنتقل الى مفاعيل هذا المؤتمر وانعكاساته على

المنطقة والعالم ولبنان، تاركاً للمناقشة فيما بعد، امكانية التعمق في البحث، وإثارة نقاط لم اعتبرها اساسية في أولويات طرحي.

سأسعى أخيراً، الى طرح كافة الجوازات الأساسية، معتبراً ان الحقيقة هي المبدأ وأسرار الدولة هي الاستثناء. وما لن أقوله، هو ما يعتبره وزير خارجية لبنان، وفي خضم اعمال المؤتمر، سرا من اسرار الدولة، يعتبر افشاؤه في الوقت الحاضر مساساً بمصلحة البلاد العليا، أو اضعافاً جوهرياً لموقعه في المباحثات.

على كل حال، لست من هواة الاسرار المجانية، واني على قناعة كاملة بضرورة مواكبة شعبنا لهذه المرحلة التي يرسم فيها مستقبل اجيالنا.

### في وضع منطقة الشرق الأوسط قبل مؤتمر السلام

قد يكون مؤتمر بالطا، قد اغلق، بعد الحرب العالمية الثانية، معظم الملفات الساخنة، الا انه، وسائر المعاهدات الدولية، والاتفاقات والتسويات، ابقى الغاماً، غير مفككة في هذه المنطقة، وذلك من خلال انشاء دولة اسرائيل، الذي شكل تحدياً لمحيطها الجغرافي والبشري والسياسي.

فع السنين والظروف، لم تلبث عوامل سياسية عدة، ونزاعات وصراعات، ان التحمت بهذه القضية، حتى اصبحت منطقة الشرق الأوسط، البركان الاساسي المشتعل، منذ فترة ما بعد الحرب وحتى ايامنا هذه.

ومع بداية الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اخذ هذا الصراع يتجسد في التراع العربي الاسرائيلي، حتى التزم كل من الفريقين بحلفائه. فن سباق التسلح، الى ازدياد التزعة القومية العربية، التي جسدها عبد الناصر في الستينات، ومع ازدياد القدرة الشرائية العربية النفطية، حتى دخول حلني وارسو وشمال الاطلسي حلبة هذا الصراع، ومع نشوء ايديولوجيات ثورية تدعو الى النضال والكفاح المسلح، ازدادت عناصر ومقومات الانفجار في هذا الصراع، حتى بلغت ذروتها اثناء حرب ١٩٧٣، وكادت تهدد السلام العالمي عبر الاستنفارات النووية المتبادلة بين الجبارين ناجحة في ذلك بتوريطها في هذا الصراع حتى اللحظات الأخيرة.

بعدها، ارتدى هذا الصراع أوجها وأشكالا متعددة. فنذ نشوء المقاومة الفلسطينية المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧، الى قيام جبهة الرفض والضمود والتصدي، حتى عمليات خطف الطائرات، والعمليات الامنية في العواصم الاجنبية، مروراً باستعمال النفط العربي سلاحاً في هذا الصراع، حتى اشتعال جبهة الجنوب اللبناني والاجتياح الاسرائيلي لأول عاصمة عربية، الى الثورة الاسلامية في ايران ومفاعيلها، حتى الهجرة اليهودية وبناء المستوطنات، دخلت المنطقة مرحلة التسليح الكيميائي والبكتريولوجي، ودقت ابواب النووي، مما شكل مقدمة لحرب الخليج. كانت مصر عبر دخولها كعب دايفيد الاستثناء الوحيد لهذا الجو التصعيدي، الذي بلغ ذروته عند سقوط صواريخ سكود العراقية في تل اييب.

في هذه الاثناء شهدت الأمم المتحدة، بعد ان كانت منذ تأسيسها معقلاً للولايات المتحدة الأميركية، مرحلة العالم الثالث الذهبية، والعصر الذهبي للعرب، حيث استصدروا معظم القرارات الضاغطة على اسرائيل. ولولا الفيتو الاميركي المعزول حينذاك في مجلس الأمن، لكانت اسرائيل خسرت معظم معاركها السياسية. ان صراع الجبارين على النفوذ في العالم، جعلها يتنازلان عن مسرح الأمم المتحدة، الذي أصبح منبرا لدول العالم الثالث ولدول عدم الانحياز والدول العربية، حيث هياها لتسلم زمام الأمور، استنادا الى قاعدة الأكثرية العددية.

### في الظروف المباشرة للمؤتمر الدولي

لقد تميزت مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بإرهاق الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الاشتراكية، ارهاقاً اقتصادياً بالغاً. فبعد ولايات متتالية لرؤساء الولايات المتحدة، اتسمت بضعف الصف الداخلي، خرجت اميركا من ازماتها، في عهد الرئيس ريغن، وبادرت سياسة اقتحامية على كافة المستويات حيث خصصت موازنات هائلة للتسلح النووي وتطوير برنامج حرب النجوم، مما لزم الاتحاد السوفياتي بمواجهة غير متوازنة على الصعيد الاقتصادي، حيث بدأ يعاني ازمات حادة، فجرت تماسك القوميات والطوائف والكتل، وبدأت تدك اسس الايديولوجية الماركسية والنهج الستاليني.

انها مرحلة سقوط الاتحاد السوفياتي التي ستغير مجرى التاريخ وخريطة العالم السياسية، حيث اصبحت الالهة، بعد سقوط الامبراطورية اليابانية والرايخ الهتلري.

ومع ولاية الرئيس بوش، اكملت الولايات المتحدة طي صفحة ازماتها الناتجة عن تورطها بحرب الفيتنام وفضيحة وترغابت وفشل عملية السفارة الأميركية في طهران. فأكمل بوش نهج ريغن، وفرض على الاتحاد السوفياتي تخفيض ترسانته النووية، وتحكم باللعبة الاقتصادية الدولية، مما ادى الى تفكك الاتحاد السوفياتي وانفراط حلف وارسو، مع بروز الولايات المتحدة كجبار أوحده على الساحة الدولية، برز دورها الجديد كشرطي العالم الوحيد. ومع تفكك الاتحاد السوفياتي، فقد العرب الغطاء الاساسي والحليف الفاعل. وطرح الرئيس بوش اهداف تطبيق القانون والشرعية الدولية حسب المفهوم الأميركي، كما طرح مقاومة الارهاب، وعزل الدكتاتوريات، وتجريد بعض دول العالم الثالث من اسلحتها المدمرة. واصبح، منذ هذه اللحظة، اي خطأ سياسي من الحسابات الدولية، مميتاً لأية دولة تتجاهل الواقع الجديد.

من هنا ان اجتياح العراق للكويت، شكل تحدياً لهذا الواقع الجديد، جعل الولايات المتحدة تحشد قواها، وتجييش حلفاءها، وتستحصل من مجلس الأمن على القرارات المطلوبة. ارتكب العراق خطأ الاعتقاد بان المس بالخريطة السياسية في المنطقة قد يمر دون حساب، عندما العالم غير مهياً لهكذا تغيير. بغزوه الكويت، بدا العراق، وكأنه على خطى اسقاط الانظمة القائمة في الخليج، وتوحيد القوى العربية تحت زعامته، وبايدولوجية حزب البعث وعلى هدى التراث العباسي، مشكلاً خطراً على النظام النفطي وعلى امن اسرائيل، وحلفاء المغرب، ف وقعت حرب الخليج، نتيجة ارتكاب صدام حسين لكل المنوعات، بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، وسقوط التوازن الاستراتيجي النووي في العالم.

نتيجة هذه الحرب، ان الولايات المتحدة ظهرت كحامية لأنظمة الخليج فتفككت الجبهة العربية، وسقط العمق الاستراتيجي العربي الذي كان يمثل العراق عبر ترسانته العسكرية وقوته الاقتصادية والسياسية وعمقه الجغرافي. وظهر التبدل في

دور الامم المتحدة ، ودول اوروبا ، وروسيا الجديدة وأوروبا الشرقية ، كمؤيدة لزعامة الولايات المتحدة.

ومن العرب ، كمصر ، وسوريا ، ولبنان ، وبعض دول المغرب العربي ، من استدرك الظرف الجديد ، بحسابات سياسية دقيقة. فساند توجه هذه الشرعية الدولية ، رغم احراجة القومي والعربي ، محاولاً الحد من الخسائر العربية.

مع حرب الخليج ، انتهت مرحلة ذهبية من استقلالية الأمم المتحدة على قاعدة الاكثية العددية ، وتفكك التضامن العربي ، وفقد العرب الصديق القديم ، والحليف الذي بنى الترسانة العسكرية العربية ، والمظلة السياسية والنوية ، التي كانت ترسم الخطوط الحمر للخسائر والهزائم ولأخطاء التقدير. وبات القرار العربي مشرذماً ، وقدرتهم على التصدي العسكري معدومة ، وإمكانية المواجهة السياسية ضعيفة ، وبقيت سوريا ، خط الدفاع الأخير ، بخيارات محدودة. إمّا الرفض ، من خلال تحالف مع ايران وبعض المنظمات والأنظمة المعزولة ، وهذا الخيار يشكل على المدى المتوسط هدفاً عسكرياً لإسرائيل ومن سيحالفها ، وإمّا الدخول في الحالة السياسية الجديدة ، والتفاعل مع الوضع الجديد من خلال حسابات براغماتية دقيقة.

مع نهاية هذه المرحلة ، طويت صفحة النضال العسكري والايديولوجي والجهادي ، الذي كان عنواناً للممارسة العربية منذ نهاية الخمسينات.

غير ان اسرائيل ايضاً ، فقدت دورها ، كممثل وحصن للغرب ، كما فقدت مبرر كونها رأس حربة للولايات المتحدة الاميركية ، التي اتجهت الى دور الحكم والمصلح والوسيط ، بعد غياب الاتحاد السوفياتي.

### في التحضير للمؤتمر

مع بداية هذه المرحلة الجديدة ، اي بروز الولايات المتحدة كمحكمة دولية بعد دور الشرطي الدولي ، باشر الرئيس بوش ، ووزير خارجيته بايكر ، التحضير لحل سياسي ينهي مشاكل المنطقة. بدأت جولات بايكر المكوكية على العواصم العربية والدولية ، واسرائيل ، لبحث الاطر العامة ، وآفاق السلام ، مدركاً ان حرب الخليج كانت فقط ، انتصاراً مشروطاً ، قد يبرر ردة فعل اصولية عربية تسقط نتائجها ، اذا لم

يبادر العالم الى معالجة السبب والجوهر. من هنا السباق القائم، بين عملية السلام والحركات الأصولية الدينية والسياسية، كبديل عن سقوط الايديولوجية الثورية العربية في مواجهة اسرائيل.

كان لا بد للإدارة الأميركية ان تحدد، مسبقا، اهداف مشروعها وآليته، ونظامه وعناصره؛ بمعنى آخر، أصول اللعبة الجديدة ونظام المباريات.

فإسرائيل تطالب بضمانات مسبقة، تتمحور حول اعتراف الدول العربية بكيانها وتشريع وجودها؛ وبضمانات حول امنها المستقبلي، عبر نزع الاسلحة المدمرة من بعض دول المنطقة. وتطالب بآفاق اقتصادية، وتتفاعل طبيعي في هذه المنطقة، بعد اختبارها عجز كامب دايفيد عن ان يكون اتفاق سلام ناجز وطبيعي، يفتح افق تطبيع حقيقي، هذا مع التحفظ على انشاء كيان فلسطيني مستقل.

أما سوريا، فتطالب بضمانات حول انسحاب اسرائيل من الجولان وسائر الأراضي العربية المحتلة، عبر تطبيق القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ وفق المفهوم العربي لهذين القرارين واعتراف اسرائيل بكيان فلسطيني، وانسحابها من الجنوب اللبناني المحتل.

أما الفلسطينيون، فهم يطالبون بتنازل اسرائيل عن جزء اساسي من ارضهم، واعترافها بدولة فلسطينية ناجزة، تحتوي العدد الأكبر منهم قاعدة الحكم الذاتي.

أما الأردن، فيلعب دور الغطاء للفلسطينيين، متضامنا مع كافة مطالبهم، معتبرا ان حل المشكلة الفلسطينية سيحجب عنه اخطار التنافس على الأرض والحكم.

أما مصر، ودول الخليج والمغرب العربي، فيلعبون دور الوسيط، اكثر مما يلعبون دور المعني مباشرة. بنظر اسرائيل يشكلون العمق والكفالة الاقتصادية كمن للانسحاب من الأراضي. وقد يظهر دورهم في مرحلة المفاوضات المتعددة الاطراف لاحقا.

أما اوروبا واليابان وسائر الدول فتهيأ للاشتراك في خطة اقتصادية شاملة، تشكل ثمنا لعدد من دول المنطقة ولا سيما اسرائيل، وقد يظهر هذا الموضوع بحجمه الحقيقي لاحقا. كما يبرز اليوم تأجيل المساعدات لعدد من دول المنطقة بينها لبنان.



أما لبنان ،

فإن موقعه يستوي على اعتبارات دقيقة وحساسة ، اذ انه من جهة ، يعتبر نفسه دولة عربية ، عريقة في القرار العربي السياسي ، لها كلمتها ودورها في اية عملية سلام شامل ، وهو معني بهذا السلام ، ومعني بالخريطة الجغرافية والسياسية المقبلة ، وبأي حل لقضية اللاجئين الفلسطينيين الذين يتواجدون على أرضه ، بأعداد ضخمة ، لن تتمكن حالة لبنان الداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، من استيعابهم ، دون ان يشكلوا خطراً على تركيبته .

كما ان لبنان ، لا يمكنه ان يقبل بتغييره عن نظام اقليمي جديد ، وعن الحلول المطروحة لمشاكل ، شكلت ساحته الداخلية مسرحاً لجزء كبير منها ، فمن هنا ، ان غيابه يعرضه لتلقي قرارات ، قد تتعلق به ، فيما هو لم يشارك بصنعها ، ولم يتسن له مقاومتها من الداخل ، ولن يتسنى له رفضها من الخارج ، حيث تكون قد صدرت بحقه بمثابة حكم غيابه .

ومن جهة اخرى ، ان لبنان هو الوحيد الذي يمتلك قراراً صادراً عن اعلى مرجعية سياسية دولية ، اي القرار ٤٢٥ ، الذي يتمتع باستقلالية ووضوح وشمولية ، مما يجعله غير قابل للتفاوض أو المساومة ، وبالتالي غير مطروح على جدول اعمال المؤتمر ، إلا من باب برجة تطبيقه .

إضافة الى ذلك ، كيف يمكن للبنان ان يغيب عن فصل محتمل من هذا المؤتمر ، الا وهو النظام الاقتصادي الجديد للمنطقة ، وهو المؤهل بان يكون عاصمة من عواصم هذا النظام .

من هنا ، لم يكن الموقف اللبناني سهلاً للغاية ، حيث ان مقومات الحضور تتقارب مع مقومات الغياب . وارتفعت اصوات تنذر بعواقب ذوبان القرار ٤٢٥ في بحر المؤتمر ، واخرى تنذر باستحالة تنفيذ هذا القرار ، خارج نطاق جو من السلام في المنطقة ، واخرى تقول بوجوب ادراج القرار ٤٢٥ على جدول المؤتمر .

إزاء هذه التساؤلات ، والقلق السائد لدى كافة الاطراف المعنية ، كان لا بد من التفتيش عن الاطر الأكثر ضماناً لمصلحة الدول المعنية والمشاركة . كما كان لا بد من تحديد اهداف المؤتمر الثابتة ، وآلية المؤتمر بما تتضمنه من انعكاسات وتأثيرات على

الجوهر، فلذا أصبحت لعبة المؤتمر شبيهة بلعبة ملاكمة منظمة، تقتضي تحديد حدود الحلبة، وقواعد اللعبة، وانظمتها، وتوقيت الجولات، وطبيعة تدخل الحكم، وتحديد وقت المباريات.

وكانت جولات بايكر المكوكية، حيث وقف على وجهات النظر المختلفة، وعلى التحفظات ومخاوف الأطراف، ومطالبها المسبقة، حيث ان عددا منها كان يقيم حساباته الداخلية السياسية ويتخوف من مغامرة غير مكفولة، وهو قلق على كيفية مواكبة شعبه لعناوين مستجدة تشكل انقلابا في النهج السياسي العربي المعهود.

لم يكن هذا القلق، ولا تلك الشروط، جديدة على القاموس السياسي الدولي، فتذكر ان تحديد شكل طاولة المفاوضات الاميركية الفيتنامية استغرق شهورا عديدة. وكانت، بعد جولات عديدة، رسائل التأكيدات الاميركية للأطراف. تأكيدات لأنها تؤكد وتوضح المواقف والوعود الأميركية، بدل ان تكون كتابات ضمانات، مما يلزم الولايات المتحدة الاميركية بتطبيقها حتى ولو احتاجت الى القوة. وهذا هو الفرق بين Assurances و Guaranties.

فتضمنت هذه الرسائل طبيعة الدور الأميركي، الذي طالب العرب بان يكون دور وسيط نزيه، وقوة دافعة Driving Force و Honest Broker.

كما طالب البعض الآخر، بأن تقوم الولايات المتحدة بالتدخل عند الحاجة، ومن هنا تضمنت الرسائل لإسرائيل تأكيدات على ضرورة اعتراف كافة الدول المشاركة والمعنية بكيانها وامنها.

كما خصصت لها دورا في النظام الاقتصادي والبيئي الجديد وحصّة فيها، وضمانة من خلال الشق الامني المتضمن ازالة الاسلحة المدمرة، إضافة إلى عدم اشراك منظمة التحرير مباشرة في المباحثات.

لسوريا، تضمنت الرسائل تأكيدات على ضرورة انسحاب اسرائيل من الجولان المحتل، ومن الأراضي العربية المحتلة، واعترافها بكيان ما للفلسطينيين.

للفلسطينيين، تضمنت الرسائل تأكيدات حول مفاوضات الحكم الذاتي خلال مرحلة ثلاث سنوات انتقالية لوضع اطر كيان مستقبلي.

للبنان، تضمنت الرسائل تأكيدات على استقلاله، سيادته، وسلامة أراضيه ضمن حدوده المعترف بها دولياً، وذلك عبر تطبيق القرار ٤٢٥ وانسحاب كافة الجيوش الاجنبية من أرضه، ومساندة قوى الشرعية في بسط سلطتها على كافة الأراضي اللبنانية.

كما أكدت على عدم ربط القرار ٤٢٥ بنتائج المؤتمر، باعتباره قراراً مستقلاً، وكاملاً، لا يتطلب الا برهجة تنفيذه.

أما للام المتحدة، فلقد حفظت الولايات المتحدة دوراً محدوداً، يسمح لها، فقط، بأن تمثل بصفة مراقب عبر ممثل عن الأمين العام. وفيما يتعلق بالاتحاد السوفياتي، فقد اعطته دور شريك نظري في رعاية المؤتمر، ولأوروباً ممثل للمجموعة بدور مراقب متكلم، وللمجموعة الخليجية، دور مراقب غير مشارك، ولمصر، دور شريك اقليمي.

### في اسس المؤتمر

لقد انطلق المؤتمر من مبدأ الأرض مقابل السلام. مما يعني انه على اسرائيل الانسحاب من الأراضي العربية، وعلى العرب الاعتراف بها وقبول السلام معها. كما ان المؤتمر ارتكز على تطبيق القرارين ٣٣٨ و ٢٤٢، حسب ما يتوصل الافراء عليه من تفسير على اثر المفاوضات. وانطلق المؤتمر من مبدأ السلام الحقيقي Real Peace الذي يشكل نوعاً من الرد على قلق اسرائيل حول السلام المصري، ويعني ان هذا السلام لن يقتصر على نصوص، بل يتجاوزها الى تطبيع على كافة المستويات.

كما ان عبارة Global peace، اي السلام الشامل، عنت بها الولايات المتحدة جميع الأطراف، بما فيها دول الخليج والمغرب العربي، المطلوب منها ايضاً الاعتراف والتطبيع، حيث تشكل العمق الاقتصادي لعملية السلام، والتعويض لإسرائيل عن فقدانها الأراضي.

وجاء في الرسائل ان المؤتمر سيبدأ بجلسة افتتاحية تعلن الدول المشاركة فيها عن خطوطها العريضة، ومن ثم، وخلال اربعة ايام، تبدأ المفاوضات الثنائية. وفي وقت

لاحق، لم يكن محددًا، تبدأ المفاوضات المتعددة الاطراف للدول التي ترغب بالانضمام اليها، ولدول اخرى لم تدخل الثنائية، كاليابان وكندا والدول الأوروبية وغيرها.

هذه الأسس تعني بان المؤتمر بدأ قبل مدريد، وقبل لقاء الاطراف بشكل مباشر، بمعنى ان مدريد اتت تطبيقًا لهذه الأسس وتويجًا لهذه المنطلقات.

وبمجرد ان تقبل اسرائيل دخول مؤتمر مدريد، على مبدأ الأرض لقاء السلام، يعني انها وافقت على انسحاب ما. وبمجرد انها قبلت المؤتمر، المبني على القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨، يعني ذلك انها وافقت على تطبيق هذين القرارين بشكل ما.

وعندما قبل العرب دخول هذا المؤتمر، المبني على الأرض لقاء السلام، فهذا يعني انهم تخلوا عن فكرة انهاء الوجود الاسرائيلي، وقبلوا بالسلام والاعتراف.

وعندما قبل الخليجيون دخول المؤتمر، على اساس سلام شامل وحقيقي، يعني انهم قبلوا بالاعتراف والتطبيع والانفتاح حيال اسرائيل.

### في مدريد

تميزت اجواء المؤتمر، في جلسته الافتتاحية، بحضور اميركي كثيف، على كافة المستويات، التقنية، والسياسية، والبشرية، والامنية والنفسية، حيث انتقل الى العاصمة الاسبانية مئات من الخبراء الاميركيين في شتى الميادين، بما فيه في علم النفس، من اجل درس كل تفصيل يمكن ان يؤثر على مجرى المؤتمر ونتائجه.

كما تميزت بحضور ما لا يقل عن خمسة آلاف اعلامي من مختلف انحاء العالم، ووضعت للوفود برامج وأصول لتحركاتهم، ولاتصالاتهم، ولإدائهم ولكل خطوة من خطواتهم.

لن اتطرق للخطب، ولما تناقلته وسائل الاعلام من امور ظاهرة، الا ان جهدا خفيا، اساسيا كان يتم في كواليس المؤتمر، ومساء، في مراكز اقامة الوفود، حيث الوساطات المختلفة لعبت دورا اساسيا في حل عدد من الخلافات حول المكان والزمان والتوقيت وشكل بدء المفاوضات. وكانت كل تلك التفاصيل لا تقل اهمية بالنسبة للدول المعنية عن المضمون، حيث انها كانت توفر لتلك الدول معطيات تكتيكية

تجعلها تحصن مواقعها وتضبط ظروفاتها حسب مقتضياتها وعلى ايقاع الجو العام. أما لبنان، وهو الذي دخل المؤتمر، بأضيق هامش مناورة من حيث حداثة خروجه من الحرب، ودقة وضعه الداخلي، وضعف جبهته الداخلية وتضارب الآراء فيها، واستقلالية اعلامه المتنوع التيارات والأهداف، وقلة عدد وفده وافتقاره الى الحد الأدنى من الوسائل التقنية واللوجستية التي يفترض ان توفر له سبل تدعيم ظروفاته، حتى توهم البعض انه سيكون الحلقة الأضعف في المؤتمر، فلقد قام، إضافة الى دوره الخاص والمباشر، بدور فاعل تنسيقي، جعله يذلل عددا من عقبات المؤتمر، كما جعله يلعب دورا توفيقيا، بين عدد من الأطراف المشاركة، حتى خرج من المؤتمر ترافقه مقولة، انه دخل المؤتمر عبثا عليه وخرج منه غنيمة له. قيل ايضا انه دخل بأضيق هامش مناورة، وخرج بأوسع.

### لبنان والفصل

إضافة الى دقة هذه الظروف التي رافقت الوفد اللبناني، كان عليه ان يسلك طريقه بين التضامن العربي، والتنسيق مع الإخوة، واثبات صدقيته تجاه راعي المؤتمر، وشخصيته تجاه باقي الدول التي كانت تمتحنه.

فحيال الولايات المتحدة، كان على لبنان ان يثبت انه خرج من تفككه الداخلي، وبات قادرا على رسم رؤية واضحة وموقف صريح يؤهله لفرض حقوقه. وحيال سوريا والأردن وفلسطين، كان على لبنان ان يؤكد تعاونه الثابت، وان ينجح في تثبيت ثقتهم بثوابته. وحيال الدول العربية الأخرى والأوروبية، كان عليه ان يثبت انه قادر على لعب دور في النظام الاقليمي الجديد، وان يسترد مواقفه التاريخية كدولة فاعلة، وكعاصمة ثقافية اقتصادية، وكملتقى الشرق والغرب.

وحيال اسرائيل، كان عليه ان يثبت انه قادر على القيام بالموجبات والالتزامات التي يربتها عليه تنفيذ القرار ٤٢٥، وما قد ينتج عن المؤتمر من اجواء سلام.

بشكل خاص، كان عليه ان يثبت للجميع بأنه حامل قرار وطني جامع، ورؤية واضحة، وحد ادنى من وحدة الصف الداخلي حيال هذه الاستحقاقات المصيرية التاريخية.

في ظل كل تلك العناوين ، كان عليه ان يقطف ايجابيات المؤتمر دون ان تطاله شظايا سيئاته . بمعنى آخر ، ان يستفيد من اجواء السلام ، كي يحظى بتطبيق القرار ٤٢٥ ، دون ان يسقط القرار اذا فشل المؤتمر ، ويبقى بإمكانه ان يطالب بتنفيذه خارج اطار المؤتمر .

كان لبنان ، اشبه بمقامر دخل صالة اللعب ، مشروطا حتى يلعب ، ان يسدد له الربح اذا ربح ، وان تعاد له الخسارة اذا خسر .

فعندما طرح المؤتمر ، لم يكن لبنان متأكدا ان انعقاده اكيد في المدى المنظور ، ومن هنا ، اشترط مسبقا لاشتراكه عدم ادراج القرار ٤٢٥ ، عله يستطيع تطبيقه قبل انعقاد المؤتمر .

وكان لبنان يخشى ان يفشل المؤتمر ، فيسقط معه اذا القرار فيما لو ادرج على جدول اعماله . فمن هنا نظرية الفصل التي تمسك بها لبنان وطالب بضمانات حيالها وحصل عليها عبر مفاوضاته مع بايكر خلال جولاته ، ومع الرئيس بوش في نيويورك على أثر انعقاد دورة الامم المتحدة .

فإذا نجح المؤتمر ، لا يمكن ان يحقق هكذا نجاح دون ان يسترد لبنان ارضه ، وإذا فشل المؤتمر ، يبقى للبنان حق المطالبة بتطبيق ٤٢٥ من خلال مجلس الأمن وبشكل مستقل .

عندما كان لبنان بوفده يفاوض في مدريد ، كان الانقسام الداخلي ، حيال المؤتمر ، في ذروته ، حتى بلغت الامور حدا كبيرا من الضغوط المختلفة ، مما اثر على وضع عدد من اعضاء الوفد . وكانت درجة تضامنه وتنسيقه مع باقي الاطراف العربية ، تنعكس سلبا أو ايجابا على ساحته الداخلية التي كانت تتجاذبها تيارات عديدة . وكان لموقف الوفد تأثير كبير على اللحمة الداخلية وعلى الوضع الحكومي والسياسي العام . من هنا كان على المفاوض اللبناني ان يجابه الخصم في المفاوضات وعينه الى الوراء ، حيث كان لأي خطأ محتمل وقع دراماتيكي . من هنا درجة التحفظ الاعلامي المتقدمة التي فرضتها على نفسي وعلى اعضاء الوفد . حيث ان كل كلمة كانت تقاس بدقة من حيث وقعها الداخلي والخارجي . إضافة الى كل تلك الاعتبارات ، كانت الوفود الاخرى تتضمن عشرات الاعضاء من كافة القطاعات

السياسية والتقنية والعلمية والصحافية واللوجستية والعسكرية والأمنية ، وتتمتع بكافة التسهيلات حتى تجاوز عدد كل وفد المائة والخمسين ، عندما لم يكن الوفد اللبناني يتضمن اكثر من ثمانية اشخاص تقع على عاتقهم مسؤولية تدعيم طروحات رئيس الوفد بكافة المعلومات والرسائل .

### لبنان وسوريا في المفاوضات

ان هكذا مؤتمر ، يتضمن هذا الحجم التاريخي ، يتطلب غطاء عربيا اكيدا . فلم يكن سرا على أحد ، ان الحذر كان يخيم لدى الجماهير العربية حيال هذا المؤتمر . وكان لا بد ، طالما ان المؤتمر لا يمكن الا ان يكون شاملاً ، ان يتطلب حجبا اكيدا من التأييد والغطاء . فالغطاء العربي ، له مراجعه وعواصمه التاريخية ، وبعد تهميش عاصمة العباسيين ، على أثر حرب الخليج ، وخروج عاصمة الفاطميين على أثر كامب دايفيد ، استحوذت عاصمة الامويين على الدور الأساسي ، كغطاء لما تبقى من القرار العربي . ومن هنا وعلى قاعدة لا حرب دون مصر ولا سلام دون سوريا ، كان لا بد ان تتجه الانظار نحو دمشق ، كركن من اركان جبهة الرفض والتصدي سابقا ولما لها من قدرة على انجاح المؤتمر اذا تجاوبت ، وعلى افشاله اذا قاومته . هذا بمعزل عن الافتراض القائل بأن تهميش سوريا قد يجعلها توحد حولها ، بمساعدة الجمهورية الاسلامية الايرانية ، كافة الانظمة والمنظمات والتيارات الاصولية والرافضة التي كانت تفتقر الى قيادة .

اضافة الى كل هذه الاعتبارات ، لا يخفى على احد ان هشاشة الصف الداخلي اللبناني حيال المؤتمر ، كان يجعل من الضروري تدعيم هذا الصف بموقف موحد لا يقدر على خلقه في الظروف الراهنة ، إلا سوريا ، عبر صداقاتها على الساحة اللبنانية . كما وان مساهمتها في ضبط حالة الفلتان الأمني في عدد من المناطق اللبنانية يسرت للدولة اللبنانية امكانية استجلاء العناصر الآيلة لاتخاذ قرار موحد في هذا الموضوع . إلا أن لبنان ، وبالرغم من حداثة خروجه من الحرب ، تمكن من ان يلعب دوره التقليدي الفاعل على المستوى الدبلوماسي ، فكان لتنسيقه مع سوريا ، في هذا الموضوع ، مردود الايجابي الكبير ، ليس فقط لنفسه ، بل أيضا لسوريا ، حيث قراءة

لبنان الدقيقة للوضع الدولي ، بفضل انفتاحه الثقافي والاعلامي والدولي ، قد حوله في معظم الاحيان ، شريكا فاعلاً ومؤثراً ، كان لدوره وقع أكيد ، في أكثر من ظرف دقيق .

### في المتعددة الأطراف

عندما بدت ملامح المفاوضات المتعددة الأطراف ، تلوح في الافق ، وذلك حتى قبل انعقاد المؤتمر وحتى قبل التأكد من حصوله ، ادركنا ان هذه الحلقة من المؤتمر ، من خلال ما تتضمنه من مواضيع ، كالبينة ، وإزالة السلاح المدمر ، واللاجئين ، والمياه ، والاقتصاد ، تشكل حالة من التطبيع ، هي الثمن الذي تراهن عليه اسرائيل . ولذا ، كان موقفنا واضحاً منذ البداية ، وحتى قبل كافة الدول المعنية في هذا الشأن ، حيث بادرت الى الاعلان من خلال خطاب القيته على اثر تروسي جامعة الدول العربية ، ان المتعددة الاطراف هي حالة من تطبيق السلام ، فكيف نستطيع ان نتكلم عن تطبيق سلام لسنا متأكدين من حصوله ، ونجهل كافة معالمه ؟ إضافة الى ذلك ، فان المتعددة الأطراف ، كما قلت ، تشكل ثمناً لإسرائيل ، فكيف يمكننا ان ندفع الثمن وما زلنا نجهل مدى الالتزامات الاسرائيلية ، وما سنحصل عليه منها ؟

من ناحية اخرى ، لقد شبهت هذا الوضع كمن يطلب منه ان يفصل ثوب عروس ، ولا يعلم بعد من هي العروس وما هي مواصفاتها .

من هنا ، لقد قلنا ، ان توقيت هذه المتعددة الأطراف ، قبل ان تحرز الثنائية تقدماً جوهرياً ، لا مبرر له . مع ذلك سألنا ، ماذا سيقول المفاوض ، على طاولة المتعددة الأطراف ، اذا علم ان زميله في الثنائية ، لا يتقدم بالبحث . فننتظر تقدماً على صعيد الثنائية ، وعندئذ ، لا مانع لدينا من دخول المتعددة .

من هنا ، كان موقف الدولة اللبنانية واضحاً ، من حيث المبدأ والمكان ، ومتحفظاً من حيث التوقيت ، علماً بأن للبنان مصلحة أكيدة ، كونه محورياً جغرافياً واقتصادياً هاماً وربما معنياً بهذا الموضوع قبل غيره .



من خلال إدراكنا المسبق، كنا قد طالبنا، في زمن رسائل التأكيدات، بتغيير عبارة المشاركة الالزامية بعبارة «لمن يرغب من الدول» وهذا ما سبق وحصل.

### في مباحثات واشنطن

ان اختيار واشنطن، كمركز للمفاوضات، كان خيارا عربيا مبنيا على الاعتبار القائل، بأن في واشنطن يستطيع الحضور الأميركي ان يكون كثيفا ورفيع المستوى، وتسلب الأضواء على السلبية المفترضة لإسرائيل أكثر من أي عاصمة أخرى على المستوى الإعلامي.

من هنا أهمية واشنطن، وتمسكنا، حتى هذه الساعة، بهذا المكان، رغم الضغوطات الاسرائيلية المتواصلة لنقل مكان المؤتمر للهرب من الضغط الأميركي. لقد ترسخت، منذ البداية، قناعة لدى كافة الدول العربية، ان اسرائيل، في ظل حكومة شامير، لن تقدم بسهولة على تنازلات ايجابية. ومن هنا، ان الرهان في المؤتمر لم يكن على إسرائيل ونواياها على قدر ما كان على الولايات المتحدة وصدقية رسائل التأكيدات والالتزامات التي قطعتها، من هنا تمسك العرب على البقاء في اقرب منطقة، تتواجد فيها الادارة الاميركية.

بالإضافة الى ذلك، ورغم جولات عديدة، وبالرغم من طروحات ايجابية مبدئية، كقول الوفد الاسرائيلي، ان ليس لإسرائيل مطامع في الأرض والمياه في لبنان، او ان اسرائيل لا ترفض القرار ٤٢٥، فإن الجانب الاسرائيلي لم يقدم اي تصور تطبيقي لكيفية انسحابه من الأراضي اللبنانية المحتلة، لا بل عمد الى نسف طروحاته المبدئية من خلال طروحات اخرى يصعب تطبيقها.

ولا تزال المفاوضات، حتى هذا التاريخ، تراوح مكانها، علما اننا لم نكن نتوقع قبل حصول الانتخابات الاسرائيلية تقدما ملموسا على مستواها. إلا ان عدم انقطاع الانصالات واللقاءات، أو صعوبة استئنافها اذا قطعت، برر استمرار لبنان وعدد آخر من الدول العربية على طاولة المفاوضات. قبل الجولة، لم يكن لبنان متحمسا للمشاركة في هذه الجولة، إلا اننا قمنا بتقييم دقيق لإيجابيات وسلبيات تلك المشاركة. وبالرغم من قناعتنا بأن اي تقدم ملموس لن يحصل، أخذنا بعين الاعتبار بأن

غيابنا، سيجعل شامير ينجح بإظهار نفسه كرجل إيجابى، راميا على عاتق الآخرين السلبية، مما قد يفيد انتخابيا تجاه الرأي العام الاسرائيلى كما يستفيد من ذلك تجاه الرأي العام الدولى.

من جهة أخرى، ان غيابنا من المباحثات، قد يفقد الإدارة الأميركية ذخيرتها في الصراع والضغط اللذين تخوضهما مع اسرائيل، خاصة فيما يتعلق بضمان القروض، كما وان الدفاع الاعلامي عن مواقفنا قد يكون في واشنطن اسهل مما هو في بيروت في حالة رفض المشاركة، وان غيابنا سيحرر المجتمع الدولي والولايات المتحدة من التزاماتها.

### ابعاد وأهداف المؤتمر

مما لا شك فيه ان مؤتمر السلام يعتبر من أهم أو حتى أهم حدث سياسي دبلوماسي بعد الحرب العالمية الثانية. انه يطمح الى انهاء حرب، دامت ما لا يقل عن ٤٥ سنة، واستهلكت طاقات اقتصادية وبشرية وعسكرية وسياسية ضخمة، وعطلت دور هذه المنطقة وشعوبها وإنماءها وازدهارها، كما أوردت دولاً كثيرة وقوى متعددة، حيث أصبحت أول سوق للتسلح وأول منطلق للإرهاب والعنف الدوليين، صدرتهما الى عواصم العالم. حتى ان الوضع في المنطقة، في ظرف معين كاد ان يورط الجبارين في عام ٧٣ بصدام مباشر ووصل الأمر الى حالة الاستنفار النووي.

ومما لا شك فيه، ان فشل المؤتمر، سيجعل التكهن صعبا جدا حول ما يمكن ان يحصل في المنطقة، هذا، دون استبعاد حروب مدمرة جديدة.

إلا أنه من المؤكد، ان هنالك تسابقا بين السلام والرفض في المنطقة. وإذا فشل المؤتمر، ان تفشي الاصولية الدينية والطائفية قد تكون الرد أمام فشل الانظمة العربية وايدولوجياتها وأساليبها في استرجاع الحقوق العربية.

أما إذا نجح المؤتمر، فلا يمكن ان ينجح إلا في تطبيق القرارات ٤٢٥ و ٣٣٨ و ٢٤٢ في إحلال سلام حقيقي وشامل.

من هنا، ان تفتح طاقات هذه المنطقة سيجعل منها محورا اساسيا اقتصاديا للعالم، كما ان سقوط الايدولوجيات المتطرفة وفك ارتباطها، سيخلق جوا من الاستقرار في

المنطقة. هذا فضلاً عن النظام الاقليمي الذي قد يفتح الحدود الجغرافية والنفسية ويخلق تكاملاً اقتصادياً هاماً في المنطقة التي تتميز بغناها من حيث الثروات الطبيعية والطاقات.

أما انعكاس هذا الواقع على لبنان، فلا بد ان لبنان كما دفع دائماً ثمن الحروب، سيقطف ثمن السلام. تقاس الدول حسب جغرافيتها وعدد سكانها، أما في السلام فتقاس الدول حسب طاقاتها البشرية والثقافية والفكرية والاقتصادية. وهنا ان لبنان الضعيف في الحروب قد يصبح من الاقوياء في السلام.

ان لبنان ايضا، ليس عاصمة حرب، بل هو عاصمة سلام وعاصمة الاقتصاد العربي والثقافة والمؤتمرات.

من هنا، قد يكون لبنان، من أكثر الدول التي قد تستفيد أولاً من انعكاس فك الارتباط الايديولوجي على ساحتها الداخلية، حيث قد يسقط العديد من الطروحات التي عطلت الدولة. إضافة لذلك، في الحرب، ان اللبنانيين ينقسمون على بعضهم في خياراتهم المتعددة، بينما في السلام، تضعف الفركة بينهم وترسخ وحدتهم الداخلية. ان فك ارتباط التجاذب السياسي قد يعطي، لأول مرة منذ الاستقلال، للدولة اللبنانية، امكانية بناء دولة على اسس علمانية والخروج من الحالة الطائفية، الأمر الذي يستحيل في حالة الحرب.

أيها الإخوة،

اخشى اني قد أطلت، لكنني توخيت ان أكون حريصاً لأضعكم في أجواء المرحلة التاريخية التي يجتازها وطننا، بما نحن ابناء المعاناة الواحدة، وضحايا المشروع ذاته، الذي أوصل لبنان الى ما وصل اليه.

علينا ان ندرك دائماً ان مناخ الحرية والديمقراطية الذي يوفر لبلدنا قدرة التفاعل المميز مع الغير، سيبقى يظلل أجواء حركتنا السياسية جميعاً.

علينا ان ندرك ان مرحلة جديدة قد بدأت، بذهنية منفتحة، وإرادة صلبة، ووعي كامل لمقتضيات استعادة حجم لبنان ودوره. وان اداء وزير خارجية لبنان، في

هذا الظرف، مبني، فقط، على اعتبارات وطنية صرفة ومزمنة لديه، تشكل قواسم لمختلف شرائح مجتمعنا.

علينا ان ندرك، ان لبنان خرج نهائيا من عصور الظلم والظلام، والرجوع الى الوراء ممنوع، وانه يقتضي ان تتضافر جهود كل قواه الحية، في معركة استعادة أرضه وحرية ودوره.

وشكري، أخيراً، للجامعة الكريمة التي نظمت هذا اللقاء في هذه المنطقة الأبية، فأتاحت لي، ومن موقعي الرسمي هذه المرة، ان نتبادل الإجابات على أسئلة لطالما شغلت اذهاننا، وطفّت على وجداننا.

وشكرا